

انطلاق مهرجان المسرح العربي في الدار البيضاء







الدار البيضاء: محمد إسماعيل زاهر

إسماعيل عبدالله: نحتاج دائماً للإبداع

انطلقت مساء الثلاثاء، في مدينة الدار البيضاء المغربية، فعاليات الدورة الثالثة عشرة من مهرجان المسرح العربي، واستضاف مسرح محمد السادس حفل افتتاح المهرجان الذي اشتمل على رسالة اليوم العربي للمسرح الذي يصادف العاشر من يناير من كل عام، والتي كتبها وألقاها المخرج والكاتب العراقي الدكتور جواد الأسدي وانتقد فيها عبر لغة مؤثرة الكثير من الأوضاع المتعلقة بالثقافة، وتطرق إلى ما ينتاب المنطقة العربية من تحولات سياسية واجتماعية. بدأ حفل الافتتاح بعرض تعبيرى راقص، وتضمن كلمات لكل من محمد مهدي بنسعيد وزير الثقافة والشباب والتواصل في المغرب، وإسماعيل عبدالله، الأمين العام للهيئة العربية للمسرح، والدكتور سالم بن محمد المالك المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»، والدكتور محمد ولد امير المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «ألكسو»، وشهد الحفل كذلك تكريم 10 من أبرز فناني المسرح المغربي

• على خطى هاملت

طرح الأسدي في كلمته موضوع الهوية الملتبسة في زمن الاضطرابات، وعلى خطى هاملت «شكسبير»، تساءل: «نكون، ومن سنكون؟، وكيف سنكون؟، محشورين على جبل الهاوية في أعين قناصي الحرية يمضغون الرصاص والجمال الميت؟ أم في الشوارع الممتلئة بالأبناء قديسي الحروب، والأمهات وهن يدبكن على خشبات المسارح الآيلة للسقوط».

وتطرق الأسدي بعد ذلك إلى العديد من قضايا الراهن الملحة، متنقلاً بين تراجع التنوير وانتشار النزعات الطائفية والعنف، وقال: «صباح الخير على سنوات الحنين والجوع المر في بلاد الملاحم وعلماء الطبيعة ومن دقوا ورسخوا مسمار الكتابة ودنوا الأساطير وبصمة التنوير، والجمهور العريق المتدافع أمام شباك التذاكر في المسارح الحداثيّة كتابة وإخراجاً حتى هطول السخام في ذلك اليوم الأرعن. وانزياح الحياة الحرة والتأريخ الجمالي عن سكك حديد التنوير، وسقوط البلدان في عاصفة العدم وانسداد الأبواب المدنية وانطفاء جذوة الثقافة وتسييد جحيم الطوائف التي

رسخت قواميس الجوع وكتابة الخراب والذل وسفك الدماء».

وبلهجة حزينة وغاضبة رصد الأسدي حال المسرح والثقافة في عدة أقطار عربية بالقول: «لقد هوت شجرة المعرفة المسرحية وسقطت سقوطاً مدوياً، ليحل محلها ثقافة الغريزة.. هناك انهيار ثقافي حيث لا أثر لدار أوبرا ولا مسرح ولا مكتبات موسيقية أو غاليريات تشكيلية في شوارع المجتمع المدني. الظلمة أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من رجالات الثقافة من سينمائيين ومسرحيين وتشكيليين وموسيقيين إلى بلدان غير بلدانهم، تاركين وراءهم يباباً مفزعاً، وفقدان أمل يلوح على شاشة مستقبل بلا روح ولا حرية ابتكار، الأمر الذي أوقع جيلاً شبابياً مبتكراً في هاوية اللاجدوى، يلوكون أحلامهم ومستقبلهم الجمالي في وحشة كبيرة تحت ظلال شجرة العوز والأمل الميت، تتناقلهم الهجرة إلى بحار ترميهم في تيه جحيمي بعيدين عن بلادهم وأهلهم، يلوكون الغربة كعشبة مرة ونزيف حار في تواريخهم وبحوثهم وقتالهم من أجل استكمال مشاريعهم الإبداعية، واقع شهد بزوغ ميليشيات مدربة على سرقة حياة التنوير، واستبدالها بمناخ مآثمي، ظلامي، يتخبط في أزقة الجيل الجديد، كخطيئة مقدسة ومعدمة، لجمهور عربي صار بلا أندية جمالية وبلا خيال، ساد التردي في سويات التلقي واللهفة للمسرح الحقيقي، وتأسست فجوة تاريخية بين الرغبة في النهوض الجمالي في أعمال عدد من المبدعين العرب، واتساع التفاوت المعرفي في أولويات الجمهور، حتى أصبحنا بلا أرضيات فلسفية وجمالية، تساعد الناس على إعادة كتابة موروثهم العظيم»

وانتقل الأسدي إلى رصد أهمية الممثل في المسرح، وقال: «صباح الخير على الممثل، روح المسرح وسر أسرارته، وهو يعيد كتابة صوته وجسده بكثافة تعبيرية وإشارية مبتكرة بعيداً عن متحف السوق ومجانية التمثيل السوقي، محلقاً بروح إنسانية رفيعة من اللعب الصاخب إلى معابد جلال أسئلة الروح الملتاعة الكبرى وحيرتها صعوداً إلى نهار دموع الأحزان»، وتطرق إلى الإخراج: «صباح الخير على الإخراج والمخرجين وهم يطبخون شكسبير وجان جينيه وبيكيت». «ومارلو وبولغاكوف، على نار بصرية مبتكرة هادئة في موقد ناري لين وطري، حيث يضاء العقل وتسمو الروح

• أنشودة للأمل

واختتم الأسدي كلمته بأمنيات تتجاوز الواقع بكل إشكالياته، والتباساته، وسأل: «هل من أنشودة للأمل؟، هل من مطر على أرض تعيد خصوبتها؟، هل من غيم يلقي على البشرية سلاماً أليفاً؟، هل من شمس تشعل العالم برقصة كونية؟، هل سنة العام القادم سنة مسرح يضئ الدروب بجمهور يزهر ويحتشد ثانية أمام شباك التذاكر؟، يصيخون السمع للممثلين». «يهدرون بأداء مسرحي متفرد تحت شجرة النور في كوكبنا الطيب الذي يتوسل الرحمة والعطف

• سلام وتعايش

محمد مهدي بنسعيد أشار في كلمته إلى أهمية هذه الدورة من المهرجان والتي تعود بعد عامين توقف فيهما المسرح بسبب جائحة «كورونا»، ولفت إلى أهمية المهرجان في ترسيخ الوحدة العربية وتماسكها، وقال: «يبرز المهرجان الوجه الحقيقي للفعل المسرحي في الوطن العربي، من خلال العروض التي يضمها، دون إغفال الجانب النقدي الذي يفتح مجال التقييم والتحليل والمناقشة من أجل تطوير التجارب وتقاسم الرؤى التي من شأنها تطوير الممارسة المسرحية شكلاً ومضموناً. لقد أصبح المهرجان ورشة حقيقية للإبداع وتبادل الأفكار. حيث تجاوزت الهيئة العربية للمسرح في تنظيم المهرجان الصورة النمطية للمهرجانات».

وقال إسماعيل عبدالله: «يستظل المهرجان بدوحتين ساميتين، بدعم ورعاية الملك محمد السادس، وصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للهيئة العربية للمسرح، والذي يتابع تفاصيل المهرجان، مرشداً ومسانداً لمسرح يكون مدرسة للأخلاق».

وتوجه عبدالله إلى حضور الافتتاح من مؤلفين وكتاب ومخرجين بالقول: «هذه هيئتكم، الهيئة العربية للمسرح، التي لا

تخلف لكم وعداً، والتي أرادها مؤسسها، صاحب السمو حاكم الشارقة أن تكون بيتكم، فكانت وستبقى كذلك، تزهو بأنكم صوته وصورتها، من هنا ستمضي إلى الأمام بفضل أفكاركم وتجاربكم، ونحن ننحاز دائماً للإبداع»، وشكر عبدالله وزارة الثقافة والشباب والتواصل المغربية على مشاركتها الهيئة في تنظيم المهرجان ليخرج على الوجه الأمثل. ولفت عبدالله إلى أن هذه الدورة ستشهد إصدار 12 كتاباً تتناول المسرح المغربي بأقلام باحثين وأكاديميين، وأعلن عن قرب صدور خزانة المسرح المغربي التي توثق لمفاصل تاريخية في مسيرة «أبو الفنون» في ذلك البلد العربي. الدكتور محمد ولد اعمر تناول أهمية المسرح في دعم مختلف القضايا، وتقدم بالشكر إلى صاحب السمو حاكم الشارقة، لدعمه ورعايته المستمرة للمسرح. أما سالم بن محمد المالك فركز في كلمته على أهمية الفن في التنمية، والنهوض بالبشر وإشاعة حالة من الحراك الثقافي في المجتمع. وشهد حفل الافتتاح تكريم عشرة من فناني المسرح المغربي، وهم: عبدالإله عاجل، عبدالرزاق البدوي، فاطمة الشرايدي، محمد البلهيسي، محمد التسولي، محمد الجم، مصطفى دسوقي، مصطفى جمال الدين، مليكة العمري ونزهة الركراكي.

• مسرحية الرواية

العرض الأول في المهرجان، جاء بعنوان «ما تبقى لكم» لفرقة أفروديت المغربية، وينتمي إلى عروض المسار الثاني للمهرجان التي تتنافس على جائزة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وهو مقتبس عن رواية بالاسم نفسه للأديب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني، ومن إخراج عبدالمجيد الهواس. والعرض يتناول قصة شاب وأخته فرقهما الشتات الفلسطيني عن أمهما، ويحلمان بالعودة يوماً ما إلى ملاقاتها خاصة عقب فقدانهما والدهما معيل الأسرة. اعتمد العرض على الغناء ووظف مختلف عناصر السينوغرافيا بطريقة لافتة، واستطاع جذب انتباه المشاهدين عبر الأغاني، ونجح في مسرحية رواية كنفاني، من خلال شاشة عرض وضعت في خلفية الخشبة تتناول لحظات مؤثرة في التاريخ الفلسطيني، كما وظف المخرج صوت الراوي أحياناً وكسر الحائط الرابع بين الممثلين والجمهور في أحيان أخرى حتى يستطيع أن يعبر عن أحداث وروح الرواية مسرحياً.